Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الضرب الرابع: الاكتفاء بالطرفين:

ومثاله قوله تعالى: ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾، تقديره: اضرب بعصاك البحر ينفلق فضربه فانفلق. نسبة الأمر وجوابه كنسبة الفعلين الواقعين من موسى ومن البحر. أخذ الطرفين واكتفى بهما»[21].

لقد وردت إشارات لدى ابن البناء تحتاج إلى إيضاح ليدرك القارىء أبعادها وليفهم المناقشات الجارية الآن بصددها. فقد ذكر في حديثه عن المتناسبات بأنها يجب أن تكون: «كلها في غرض واحد· إما تشبيه أو تفسير أو غير ذلك»[22]؛ ومعنى هذا أن الأشياء المتناسبة يجب أن تنتمي إلى فضاء دلالي مشترك؛ ومن خلال الأمثلة السالفة يظهر تحقق هذا الشرط: «الكأس» و«الترس» أداتان جامدتان. و«ديونسس» و«أرس» ينتميان إلى مجال الإنسان. وكذا الشاطبي «وابن البناء»؛ كما أن هناك اشتراكاً بين أصول الفقه والبلاغة من حيث إن كلاً منهما مقنن لمجال معرفي معين، واشتراك «الكفر» و«الإيمان» لانتمائهما إلى العقيدة، و«النور» و«الظلمة» إلى الضوء؛ وعلى هذا، فإنه لا يصح هذا القول: نسبة الطائرة إلى الكفر نسبة الطالب إلى الباخرة.

على أن التناسب يقع بين المتعاندين. وهكذا يرى ابن البناء أن المناسبة تقع بين الأضداد على سبيل المقاومة والمغالبة أو المكافأة. وقد ضرب المثل ببيت شعري فحلله فرأى فيه ثلاثة أشياء؛ وهي الحروب والعدى والإيقاظ في مقابل ثلاثة أشياء، وهي فعل عمر، وعمر، والنوم. والثلاثة الأولى في نسبة التكافؤ والتضاد مع الثلاثة الثانية؛ أي أن الثلاثة التوالي تدفع الثلاثة المقدمات[23].

قد تبين من خلال الأمثلة التي قدمها أن للتناسب عدة وظائف؛ منها ملء الثغرات حين الحذف باعتماد على الخطاطة الرئيسية الرباعية الأطراف. هكذا أمكن تقدير مقدم النسبة الأولى وتالي النسبة الثانية في «الضرب الأول» وفي «الضرب الثاني»، وملىء الوسطان بالاعتماد على الطرفين؛ على أن الدراسات النفسانية واللسانية والعلمية المعاصرة توظفه على نطاق واسع كما وظفته الدراسات العلمية والكلامية القديمة. إن الطفل يمكن أن يلاحظ أن إصبع القدم هو جزء من الرجل

(21) هذا راجع إلى مسلمة نقاء الأجناس التي أفاض فيها السجلماسي.

(22) للسجلماسي مناقشة عميقة لهذه القضية. انظر فقرة تداخل البعدين.

(23) الروض المريع، ص 109.